السيرة النبوية هي الوسيلة المثلى في الدعوة إلى الإسلام في عصر العولمة

د. حسن علي الشايقي(★)

بحث مقدم للندوة العلمية بعنوان (دور الدراسات الإسلامية في المجتمع العولمي) المنعقدة بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير سونكلا فطاني- تايلاند - من 21-23ديسمبر 2010م

تمهيد:

قدمت هذه الورقة البحثية في المؤتمر العالمي الذي عقد بدولة تايلاند، فطاني، جامعة الأمير سنكلانكرين في الفترة من 21-23/ ديسمبر 2010م، والذي كان تحت عنوان (الدراسات الإسلامية في مجتمع عولمي) وقد مثل الجامعة وشارك في المؤتمر كل من البروفسير/ مهدي ساتي صالح نائب المدير للشؤون العلمية، ود. حسن علي الشايقي عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

(★) أستاذ مشارك وعميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة إفريقيا العالمية، السودان.

إن سيرة النبي ﷺ سيرة متفردة وهي جزء من دلائل نبوته ﷺ.

تتمثل فيها سماحته وعظمة خلقه وكرمه وعفوه في تعامله مع أهل بيته وصحابته بل حتى مع أعدائه ومن عذبوه وناصبوه العداء، ومن سمات هذه السيرة واقعيتها وسهولة التأسى بها، وعالميتها؛ مما يجعلها خير وسيلة لدعوة الآخرين للتعرف على دين الإسلام، كما يتعين على المسلمين عرض هذه السيرة وتعليمها للآخرين بوسائل مختلفة ولغات متعددة تتناسب مع ثورة المعلومات والاتصالات فيما يعرف في زماننا هذا بعصر العولمة.

تعريف العولمة:

العولمة تعني الانتقال بالمعارف والصناعات والأفكاروالأنماط الثقافية من المجال الوطني أو القومي إلى المجال العالمي.

ويعتبر التقدم الذي حدث في وسائل الاتصال مع تناقص تكلفتها من العوامل المهة في تقليص الحواجز على حركة البضائع ورأس المال والثقافات وهذا ما أطلق عليه العولمة.

فالعولمة تحمل في طياتها بجانب الاقتصاد والتجارة النمط الثقافي الغربي المتمثل في أفلام الكرتون للصغار والتأثير على العلاقات الأسرية والإجتماعية وطريقة اللباس والطعام للكبار – وهذه الأنماط بالطبع تتعارض مع ثقافات وقيم المجتمعات الأخرى سيما المجتمعات الإسلامية مما يترتب عليه آثار سالبة.

وأكثر ما يهمنا في هذا البحث الجانب الثقافي للعولمة وهو يعني تبني النموذج الحضاري الغربي الذي يعبر عن الإرادة والهيمنة على العالم من الناحية الثقافية، ذلك أن الثقافة هي التي تعبر عن خصوصية الأمة ونظرتها للحياة، وعليه تتعدد الثقافات بتعدد المجتمعات البشرية.

النظام الإسلامي الدولي:

منذ القرن السابع الميلادي وعلى مدى تسعة قرون متوالية عرف العالم النظام الإسلامي أو نمط العولمة الإسلامي وهو نموذج لا يقوم على الهيمنة وفرض السيطرة للأقوى تقنياً وعسكرياً. بالرغم من وجود أمبراطوريات ودول قوية تمثلت في الدولة الرومانية في الشمال والدولة الفارسية في الشرق ودولة أكسوم في الجنوب الغربي استطاع النبي ﷺ بناء الأمة الإسلامية وتوحيد تلك القبائل المتنازعة المتفرقة تحت عقيدة واحدة وفي مدى قرن واحد امتدت دولة الإسلام في كثير من المساحات التي كانت تسيطر عليها الدولة الرومانية والفارسية ووصل المسلمون إلى أوربا والصين.

وقد أقامت دولة الإسلام نظاماً عالمياً فريداً في نمطه السياسي والاقتصادي والاجتماعي فكفلت للأديان الأخرى حرية الاعتقاد والعبادة ومارست الشعوب النشاط الاقتصادي مع حرية التعامل مع المجتمع الإسلامي.

معالم السيرة ومنهجه ﷺ في الدعوة:

[1] الهجرة وتأسيس دولة الإسلام:

قضى رسول الله ﷺ بعد بعثته ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو إلى الإسلام، ولم يترك سبيلاً من سبل الدعوة ولا وسيلة من الوسائل إلا طرقها بأحسن وجه، غير أن قريشاً رفضت الإسلام، وأظهرت العداوة والبغضاء لكل من دخل في دين الإسلام .

فأذن الله لنبيه في الهجرة وكان ﷺ قد وجه أصحابه للهجرة إليها فاستجابوا وخرجوا رجالاً ونساء وتركوا أرضهم وموطنهم الذي أحبوه ونشؤوا فيه، وكان رسول الله ﷺ هو آخر المهاجرين مع أبي بكر، وقد خلف علي (رضي الله عنه) لرد الأمانات إلى أهلها وتلك قمة التضحية والفداء إذ إن في بقاء النبي ﷺ في مكة بعد هجرة أصحابه خطر عظيم على حياته. ولقد حرصت قريش على قتله بعد أن دبروا خطة محكمة لذلك، لكن الله حفظ نبيه حتى وصل إلى المدينة حيث القوة والمنعة من الأنصار وجعلت قريش مائة من الأبل لمن يأتي برسول الله ﷺ حياً أو ميتاً.

وبدأ رسول الله ﷺ ببناء المسجد مما يدل على عظمة الصلاة وآخى بين المهاجرين والأنصار لتأكيد وحدة وتماسك المجتمع المسلم ووادع اليهود الذين يسكنون المدينة وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وحرية العبادة في دور عبادتهم ومدارسهم.

وعندما عاد رسول الله ﷺ إلى مكة في العام الثامن الهجري فاتحاً منتصراً عفا عن قريش وسامحهم وقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء، فكانت هذه المعاملة الكريمة خير دعوة للإسلام.

وهذا يؤكد منهجه في التعايش مع الآخرين وليس إلغاءه وأن الأصل في الإسلام هو السلام.

[2] هديه ﷺ في الجهاد وقتال الأعداء:

فرض الجهاد لحماية الحق ورد المظالم وقمع العدوان وكسر الجبابرة الذين يقفون في وجه دعوة الإسلام ويحولون دون حرية الإختيار لمن أرادوا الدخول في الإسلام- والإسلام لا يجبر أحداً على الدخول فيه مصداقاً لقوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[1].

ولقد كان النبي ﷺ يوصي أصحابة الذين يخرجون للجهاد قائلاً: (اغزو باسم الله في سبيل الله من كفر بالله ،لا تغدروا، لاتقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولاتقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بناء).

هذا الحديث يبين جزءاً من آداب القتال في الإسلام فأين هذا مما فعله ويفعله أعداء الإسلام قديماً وحديثاً.

(1) سورة البقرة الآية: 256.

[3] هديه ﷺ في معاملة المرأة وتكريم النساء:

النساء نصف المجتمع بل هن أكثر من ذلك إذ إن الرجل يكل إلى المرأة تربية الأبناء والبنات والقيام عليهم وتوجيههم ولهذا اهتم النبي ﷺ بالمرأة وقال: النساء شقائق الرجال وقال: الجنة تحت أقدام الأمهات وأوصى بإكرام المرأة وعدم إهانتها وظلمها وكانت سيرته نموذجاً عملياً في تطبيق هذه المبادئ.

وقد عاشر ﷺ المرأة أماً وزوجة وبنتاً وصحابية وكانت أخلاقه معها في قمة الكمال البشري وقد زار قبر أمه آمنة بنت وهب وكان يكرم أمه من الرضاع حليمة السعدية وفرش لها رداءه وأكرمها وأكرم قومها أيما إكرام عندما وقعوا في الأسر بعد غزوة حنين وأكرم أخته الشيماء بنت حليمه/ وورد عن أبيه من الرضاع الحارث بن عبدالعزي أنه قال: (أن ابني إذا أخذ بيدي يوم القيامة لم يتركني حتى يدخلنى الجنة). وذلك عندما قالت قريش للحارث: (إن ابنك يزعم أن الناس يبعثون يوم القيامة ويحاسبون) وقال له النبي ﷺ نعم يا ابتاه إني أزعم ذلك- وإذا كان ذلك اليوم سآخذ بيدك وأذكرك بكلامك هذا – وعندما أسلم الحارث قال هذه العبارة التي ذكرتها في أول الحديث.

وكان يكرم خديجة رضي الله عنها في حياتها وبعد موتها وفضلها على أمهات المؤمنين لسبقها وجهادها وبشرها ببيت في الجنة من قصب اللؤلؤ.

وكان يحب أم المؤمنين عائشة ويكرمها وعندما كسرت إناء يخص أحدي زوجاته قال: غارت أمكم إناء بإناء واستأمنت أم هانيء بنت أبي طالب لأحد أقرباء زوجها يوم فتح مكة وكان علي رضي الله عنه يود قتله فأمنه ﷺ - وقال لها: قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء.

وأردف خلفه فتاة صغيرة من قبيلة غفار في إحدى غزواته (خيبر) وقد خرجت هذه الفتاة الصحابية الجليلة مع نساء من غفار لمداواة الجرحى وخدمة المسلمين، فخاضت هذه الفتاة لأول مرة وهي تركب خلف النبي ﷺ ولطخ الدم رحله ﷺ وخجلت الفتاة خجلاً شديداً وهذا شأن النساء فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال لها ما معناه: لا عليك أصلحي من نفسك وخذي ماء وأجعلي فيه ملحاً ثم اغسلي به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي إلى مركبك.

ولما فتح ﷺ خيبر أعطى هؤلاء النساء من الفيء – جعل على عنق هذه الفتاة قلادة وعلقها بيده في عنقها – فكانت هذه القلادة في عنقها حتى ماتت وأوصت أن تدفن معها، وكأنها تريد أن تدخل آثار أصابع الرسول ﷺ وهو يضع القلادة في عنقها، أن تدخل معها إلى قبرها. رضي الله عنها.

وذكر النبي ﷺ المرأة التي يتوفى زوجها وتصبر على تربية أولادها ولا تتزوج فقال إنها تدخل الجنة معه وضم إصبعيه كناية عن علو مكانتها ودخولها الجنة مع النبي ﷺ وقال: معنى الحديث: أنا وأمراة سفعاء الخدين الحانية على ولدها يوم القيامة كهاتين وضم (أصبعيه)

والسفع نوع من السواد ليس بالكثير والمعنى أنها تركت الزينة والترفه حتى تغير لونها وهي تسعى وتدأب في تربية أولادها.

هذا غيض من فيض وقد رأينا كيف يعلي النبي ﷺ شأن المرأة بهذه القيم والمعاني السامية التي لا توجد إلا في سيرته ﷺ.

[4] مكاتبة الملوك والأمراء ودعوتهم للإسلام:

يمكننا اعتبار المرحلة الأولى للدعوة الإسلامية من خلال سيرته ﷺ هي مرحلة تأسيس المجتمع المسلم وقد تزامن مع هذه المرحلة صلح الحديبية وانسحاب قريش من ميدان الحرب وبقى كيد اليهود وغطفان وكان محدوداً بعد خروج قريش من هذا المثلث العدائي ولهذا فقد وجه النبي ﷺ رسائل للملوك والزعماء يدعوهم للإسلام.

وقد شملت هذه الرسائل كتابته للنجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وكسرى ملك فارس وقيصر ملك الروم والمنذر بن ساوي حاكم البحرين وهوذة بن علي صاحب اليمامة وملوك عمان والحارث بن أبي شمر صاحب دمشق.

واختار النبي ﷺ لهذه الرسائل خيرة الصحابة من حيث الخبرة والحكمة والشجاعة والقدرة على البيان كما هدفت هذه الرسائل إلى إخراج الدعوة الإسلامية من دائرة الجزيرة العربية إلى خارجها وهذا تأكيد لعالميةالإسلام وتبليغ لدعوة الإسلام لكل من يمكن أن تبلغه في زمانه ﷺ.

ولقد كانت ردود الفعل والنتائج من هذه الرسائل متباينة تباين البشر كما أن الهداية بيد الله. فالداعية عليه تقديم دعوته بأحسن السبل وأوضح بيان فهذا كسرى ملك الفرس قد مزق رسالة النبي ﷺ واستنكف أن يذكر النبي ﷺ اسمه قبل اسم كسرى فلم ينظر إلى الرسالة إلا من جهة استكباره وكونه ملكاً له قوة وصولجان فعصف الله بملكه عندما دعا عليه النبي ﷺ فعدا عليه ابنه فقتله.

وأسلم من هؤلاء الملوك النجاشي رضي الله عنه وكذلك جيفر وعبد أبناء الجلندي ملوك عمان، ساقهما الله للإسلام على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه سفير ﷺ، وكان رد المقوقس وسطاً بين هذا وذاك فلم يسلم ولم يبعد وأهدي لرسول الله ﷺ مارية القطبية واختها سيرين وكسوة وبغلة. ورغم أنه لم يسلم فقد أوصى النبي ﷺ بقبط مصر خيراً وذكرأن لهم رحماً وصهراً ولقد أنفذ صحابته هذه الوصية وأحسنوا معاملة القبط في مصر وبنوا مسجداً في دار مارية القبطية رضي الله عنها.

الوسائل المعينة على الدعوة في عصر العولمة:

إن الحضارة الغربية تمتلك إيجابيات كبيرة ما في ذلك من شك ومن ذلك التقدم العلمي والتكنولوجي وعبقرية التنظيم والإدارة والصبر وطول النفس في البحث العلمي وهذا مما يعطي هذه الحضارة قوة ومبرراً للسيادة على الآخرين.

وهذه سنة الله في قوله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ}[1].

كما أن هذه الحضارة تحمل أسباب ضعفها وأفولها من فساد خلقي وفوضى جنسية وإباحية وشذوذ وخمر ومخدرات وجريمة وطغيان في الأرض بغير الحق وهذا ما يعصف بهذه الحضارة مهما طال عمرها لقوله تعالى: {فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ}[2].

أما الوسائل المعينة على الدعوة في عصر العولمة فنلخصها فيما يلي:-

[1] اكتساب التقانة والإفادة القصوي من وسائل الاتصال الحديثة.

[2] استخدام المهنية العالية في تقنيات التلفزة.

[3] تأهيل المناهج الدراسية والاهتمام بالأسرة الممتدة وتقوية أواصر التواصل الاجتماعي.

[4] عرض السيرة النبوية باعتبارها نموذجاً واقعياً عملياً بلغات متعددة لدعوة الآخرين للإسلام.

(1) سورة هود الآية: 15.

(2) سورة الأنعام الآية: 44.

المراجع:

[1] موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ- إعداد مجموعة من المختصين بإشراف/ الشيخ د/ صالح بن عبدالله بن حميد إمام الحرم المكي.

[2] الرحيق المختوم – للمباركفوري.

[3] العولمة – المدارات الثقافية والاقتصادية والسياسية - مركز الدراسات الإستراتيجية الخرطوم 1989 رئيس التحرير د/ بهاء الدين خيفي.

[4] صحيح مسلم بشرح النووي .

[5] فقه السيرة – محمد الغزالي .

د/ حسن علي الشايقي

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة إفريقيا العالمية السودان - الخرطوم

تلفون / 00249-0911295577

E.mail:esmail-4@hotmail.com